



جبران خليل جبران

تأليف الأستاذ ميخائيل نعيمة

يقع في ٣٠٧ صفحات من القطع الكبير ، ثمنه عشرون فرنكا ذهبيا
طلب من المؤلف في بكتنا لبنان ، ومن المكاتب الشهيرة في الأقطار العربية
وفي مصر من مكتبة الهلال

هذا كتاب من كتب التراجم ، أخرجته للناس كاتب له في الشرق العربي مكانة ، يحلل فيه حياة صديق عزيز عليه ، وهذا كما نرى موقف من أدق المواقف التي يصادفها أديب ، إذا أراد أن يتوخي الأنصاف فلا يظلم صاحبه ولا يظلم التاريخ . ولقد أحس المؤلف دقة موقفه كما يتضح في مقدمة كتابه ، وعلى هذا الأساس سأبني رأيي في نقد ذلك الكتاب

ويمحسني أولاً أن أعطى القارى، فكرة عامة عن تقسيم الكتاب وطريقة السير في موضوعه ، ولست أسير في التقسيم حسب أبوابه ، بل لقد أحسست بعد قراءته أنه ثلاثة أقسام عامة أولها : حياة جبران قبل أن يعرفه المؤلف ، ثم حياتهما معاً ، وأخيراً نجد ملحقاً في ذيل الكتاب عن وصية جبران ورسائله الى المؤلف ونحايده ، وغير ذلك مما حدث بعد موته

فالكتاب كما نرى وصف حياة رجل من أولها حتى خاتمتها . وفي كتب التراجم إما أن يكون المؤلف غريباً عما يكتب عنه ، أو سديقاً له . بيد أن هذا النوع من التأليف أو هذه الناحية من نواحي الكتابة تسير أو يبنى أن تسير في أسامها وجوهرها وفق ما اصطلاح عليه الأدباء في هذا الباب الذي يعتبر في ذاته فناً من فنون الكتابة كسواه من الفنون ، مثل القصص والروايات المسرحية ، وكتب النقد وغيرها

بيد أن المؤلف في كتب التراجم عادة بوصف الأسرة التي ولد منها صاحب الترجمة ، كصورة لبيئته المنزلية وما قد يختلط بدمه

من وراثته ، ثم يأخذ في وصف بيئته الطبيعية والاجتماعية مصوراً طفولته وأخلاقه في تلك الفترة وما يلقى من تربية ، وما كان من أثرها في حياته المستقبلية ، ثم يتدرج به في مراحل الحياة في تسلسل متصل ووحدة مترابطة الى ما صادفه من حوادث ، مبيناً علاقاتها بفننه وأثرها في توجيهه ، وفي ضوء ذلك كله يحلل آثاره موضحاً ما فيها من تأثير سلف ، على أن يكون أساس ذلك كله الحقيقة لا الخيال . فالأسناد الصحيح القوى في كتب التراجم عنصرها الجوهرى ، ولا سيما إذا كان المؤلف صديقاً لمن يتحدث الى الناس عنه ، وإذا أراد المؤلف أن يقول رأيه في آثار صاحبه وفيما تخلل حياته من قوة أو ضعف ، فليستعند عن التحيز إن أراد الكمال

وبعد ، فإذا رأيت في كتاب الأستاذ ميخائيل عن صاحبه المرحوم جبران خليل جبران ؟ . مضيت في قراءته فإذا بالمؤلف يسير فيه على نهج غريب ، حتى لقد كنت أحسبني في القسم الأول حيال قصة لا حيال شخص معروف ، فلقد أحاطني المؤلف بجو من الخيال تحت عنوان خيالات بشرى ، وراح يصف لحظة مولد جبران ، وما كان من أعمال أبيه وأقوال أمه وأقوال الجيران في تفاصيل تغيب حتى على من يرى رأى السمين ، ثم يطير بي إلى مدينة كولومبيا بأمريكا ، فيصف لي فتاة تحلم في نومها ، ويصف حلمها كأنه هو الحالم ! ثم يعود الى بشرى فيعرض لي بعض صور من طفولة جبران ومن حياة أسرته ، ولكن عليها جميعاً طابع الخيال ، فتفاصيلها لا يمكن أن يلم بها إلا شخص يتحدث عن نفسه ، على أن يكون قوى الذاكرة الى أقصى حد ؛ ومن أمثلة ذلك وصف والده جبران (ص ٣٠) وحكاية بائع الزيت (ص ٣٣) . وما لي أورد الأمثلة ، وهذا القسم الأول من حياة جبران قبل أن يعرفه المؤلف عبارة عن قصة خيالية ؟ ولقد كان المؤلف وهو يصف حياة جبران وهو في بوسطن ، ينقل اليك تناجيه

وعرضه على الناس كما هو على حقيقته ، أم أحاط شخصيته بشيء من الغموض ؟ ولست أعرف إلا أن طريقته التي سلكها من الصعب أن تبنى بفرضه ، وهل يتفق ذلك مع ما جاء في مقدمته (ألفت هذا الكتاب على أمل أن يطالع القارىء من خلال فصوله صورة جبران كما عرفت لا « تاريخ » حياته الذي لا يعرفه أحد) ؟

ولئن اختلفت مع الأستاذ نسيمة في طريقته ، فاني معجب بمقدرته في الوصف ، وقوته في تحليل المواقف النفسية ، ورسم الخواطر الذهنية ، وقوة روحه التي خلصت الكتاب على طوله من الفتور ، وجعلتني أقلب صفحاته في شغف ولذة ، ولن أنسى دقة أسلوبه ومثانة نسجه ، لولا هبات ما كنت لأشير إليها لولا أنها عقلت بهذا الأثر النفيس ، ومنها بعض المجازات الغريبة كتمبيره عن الموت بالفتور في رحم الزمان (ص ١٧) وكوصفه الخالق بأنه « الخائن الأكبر قد التقط بمكوكه العظيم خيطي حياتهما من جديد » (ص ٦٨) ، وكوصفه القارىء بأنه يعضغ الكتاب بعينه وروحه (ص ١٠١) ، وما استعمله عن الفلس من المجازات (ص ١٢٣) ، وكقوله في (ص ٢١٥) يخفها تنين النسيان ويطوقها غرابال الزمان . . . وسواها من الأختلة غير المألوفة ، والقياسات الشاذة بكجمه سؤال على سؤالات وكاستعماله لفظ اندلق للقهوة بدل أن يقول انسكبت مثلاً

على أنني كما ذكرت ما كنت لأعرض لهذه الهبات لولا صدورها من أديب له مكانة كالأستاذ ميخائيل نسيمة

النفيس

اشترك مجاني في الرسالة

لمدة شهر يناير

لكل من يسدد الاشتراك في أثناء شهر
يناير الحثي في مجموعة كاملة من السنة الثانية
للرسالة لا تكلفه غير أجره البريد وقدرها
خمسون ملياً في مصر ، ومائتا ملياً في الخارج

وخلجات حبه ، وزغرات قلبه ، وانفعالات نفسه ، كمن يكتب مذكرات اساعته عن نفسه . خذ لك مثلاً حواراه مع أبيه (ص ٣٢) ، وزيارته للفنان ، (ص ٣٣) ، وخلوته مع المرأة التي دعتة إلى منزلها (ص ٤٠) ، ومناجاة نفسه (ص ٤٧) ، وهو يكتب مقالاً ويصححه (ص ٦٢) ، وأنشاء عرضه صورة وعلاقته عارى الفتاة الحائلة في أول الكتاب وهي الآن مديرة مدرسة ، وعلاقته بمشييلين ، وغير ذلك من عزلانه وهو أحسنه . . . الخ وما أظن أن عرض هذا الجزء من حياة جبران على مثل تلك الصورة الخيالية ، وما فيها من براعة ومن رواء ، متفق مع ما يتبع في كتابة التراجم ، أو باعث في القلب ما يمتنه الحوادث التي يدعمها الأسناد والرواية ، وتطلبها الحقيقة من الأهتمام والعناية . هذا إلى أن المؤلف في تلك الفترة من حياة جبران لم يعلق على ما فيها من مواقف ، وما كان لحوادثها من أثر في مستقبله ، ولكن ما حاجته إلى التعليق ؟ بل كيف يتسنى له ذلك وقد صور لنا جبران كما لو كان جبران يتحدثنا عن نفسه ؟ وبذلك نخلص من عرض رأيه في صاحبه

ومما يلاحظ على هذا القسم من الكتاب أن الرابطة فيه ضميعة ، وقد ذكرت فيه بعض الحوادث دون أن يفهم القصد من ذكرها ، فلم تكن للتبسط أو للتحليل أو لبيان العلاقة بين المترجم له وبين الحياة

أما في القسم الثاني من الكتاب عند ما صاحب المؤلف جبران ، فانك تحس بجو من الحقيقة ويتمد عنك الخيال القصصى ، ويحدثك المؤلف عن جبران كما رآه في عدة مناسبات ، وتبدأ نهم بحياة جبران وآثاره ، وتنضح لك شخصيته فتزداد معرفة به ، وإن جهلت الظروف التي كونته هذا التكوين ، اللهم إلا ما كان من تأثير (نيتشه) فيه ، وهو ما شرجه المؤلف في آخر القسم الأول . على أنك في هذا القسم الثاني من حياة جبران لن ترى المؤلف يتحدث عن رأيه في صاحبه من الناحية الأدبية أو الخلقية ، ولا تجد منه مناقشة جديبة لآثاره ومقدار قيمتها ، بل تراه يقتصر على ذكرها دون تعليق ، إذا استثنينا وصفه لكتاب « النبي » وإظهار أثر نيتشه فيه ، وقراءة قصيدته التي جاء ذكرها في (ص ١٦٠) معه ، وحتى في هذين ترى الإعجاب بقلب على النقد الغريب لكنني كما قدمت أحسن بدقة موقف الأستاذ ميخائيل بالنسبة إلى حياة صديقه جبران ؛ على أني أساءل هل أنصف صاحبه